المؤثرات اللّسانية الأجنبية في الأدب العربي القديم

Foreign linguistic influences in ancient Arabic literature

د-سامية يحياوي

جامعة 20 أوت 1955 سكيكدة/الجزائر samiayahiaoui1@hotmail.fr

تاريخ الاستلام: 2022/12/23 تاريخ القبول: 2023/03/07 تاريخ النشر: 2023/09/12

ملخص:

لم يسلم الأدب العربي من علاقات التأثير والتأثر منذ القديم، حيث انفتح على مؤثرات لسانية أجنبية، شرقية وغربية رغم حرص العرب على عدم الاختلاط بالآخر، انعكست على لغتهم وأدبهم عبر العصور. وذلك لأسباب جغرافية وتاريخية وضمنية، ولكن رغم هذا التداخل اللساني ظلّت اللغة العربية محافظة على أصالتها وحيويتها وانفتاحها لاستيعاب كل اللغات دون الذوبان فيها.

كلمات مفتاحية: التأثير والتأثر، اللغة، المؤثر اللساني الأجنبي، الأدب العربي القديم

Abstract:

Arabic literature has not been spared from the relations of influence and vulnerability since ancient times, as it opened up to foreign, eastern and western linguistic influences, despite the Arab's keenness not to mix with the other, for geographical, historical and implicit reasons, which were reflected in their language and literature throughout the ages, However, despite this linguistic overlap, the Arabic language maintained its originality, vitality, and openness to absorb all languages without dissolving in them.

Keywords: Influence and being affected, language, foreign linguistic influence, ancient Arabic literature

المؤلف المرسل: سامية يحياوي، الإيميل: samiayahiaoui1@hotmail.fr

-الألفاظ كالنّاس، تنتقل كما ينتقلون-

1. مقدمة:

تعد اللّغة أصوات يعبر بها كلّ قوم عن أغراضهم، فلغة الأمة هي وعاء فكرها وعواطفها عبر العصور، وهي مرآة المجتمع من خلالها نستطيع معرفة مدى تقدمه وازدهاره. ولأن الانسان اجتماعي بطبعه فهو بحاجة إلى الأخذ والعطاء، وإلى من يشاركه أفكاره وأحاسيسه وآفاقه، هذه المشاركة هي النواة الحقيقية للتجديد. فاللغات كما الآداب تقاس حياتها وقوتها وكمالها بمقدار ما تأخذ من غيرها وتعطي غيرها.

2-التداخل اللّغوي مع اللّسان العربي:

تعد اللّغة العربية من أقدم اللّغات الإنسانية التي ظهرت في التاريخ، وقد مرّت في تهذيبها بعدة مراحل[1] لم تسلم فيها من التداخل اللّغوي سواء داخليا أو خارجيا، حيث لا توجد لغة خالصة؛ وتبدأ أول مرحلة بتهذيب إسماعيل عليه السلام للّغة قبل ظهور الإسلام، ثم انتشارها في القبائل بانتشار أبناء إسماعيل، فلما تفرقت القبائل تنوعت اللّهجات.

وتعد قريش هي القبيلة الأخيرة في تاريخ الفصاحة "ذلك أن قريش من أهل مكة، التي تقع فيها الكعبة، وكانت القبائل العرب يحجّون هذا البيت العتيق من كل صوب وحدب، ومن البديهي أن تلك القبائل متباينة اللّهجات مختلفة الأقيسة المنطقية... فكان قريش يسمعون ويأخذون ما استحسنوه فيديرون به ألسنتهم ويجرون على قياسه، فلا جرم أن كان المركز الديني والتجاري الذي حازته قريش قد ساعدهم على ترقية أذواقهم، وسمو طبائعهم وتقوية سلائقهم، حتى صاروا في آخر الأمر أجود العرب التقاء للأفصح من الألفاظ وأسهلها عند النطق وأحسنها مسموعا، ومن جهة أخرى كانت لقريش رحلتان في التّجارة كل عام، رحلة الشتاء إلى اليمن والصيف بصر وحوران. وكذلك كانوا يضربون في الأرض وسمعوا مناطق الناس، وتدبروا وجوه العذوبة في أكذبها حتى أصبحت لغة قريش أفصح الأساليب العربية، وهذا هو سبب نزول القرآن بلغتهم"[2]

وآخر أدوار تهذيب اللّغة العربية دور أسواق العرب عامة وعكاظ خاصة، حيث كان العرب يقيمون هذه الأسواق في أشهر السّنة، وينتقلون من بعضها إلى بعض للأغراض التجارية والثقافية معا. فقد كانت تحضره قبائل العرب كلها لأنها موجههم للحج الأكبر، وفي هذه الأسواق كان يخطب فيها شاعر فحل بقصيدته والخطيب المصقع بكلمته، مما أدى إلى ترقية اللّغة العربية إلى درجة النضج التام.

وقد كانت قريش بلغتها العربية أفصح القبائل وأصرحها لبعدها عن العجم من جميع جهاتهم، وقد كانت اللّغة العربية قبل الإسلام فصيحة، ضمنها العرب عبقريتهم الشعرية ومروءتهم اللّسانية.

ومع نزول القرآن حدث تغيّرا كبيرا في حياة العرب الدينية من جهة، واللّغويّة والأدبيّة من جهة أخرى، حيث دخلت ألفاظ القرآن الكريم إلى اللّغة العربية فزادتها بهاء وحيوية. فازداد اهتمام علماء اللّغة بها فظهر علم التفسير والفقه، والنّحو والصرف والبلاغة...

ويمكن تقسيم التداخل اللّغوي مع اللّسان العربي إلى قسمين:

1.2-<u>التداخل اللّغوي الدّاخلي</u>: هو ظاهرة من الظواهر اللّغوية، وأحد أنواع التداخل اللّغوي، تتم فيه علاقات التأثير والتأثر، والأخذ والعطاء بين لغات وأخواتها. خاصة وأن اللّغة تخضع للتطور والتغيّر طبقا لقانون النشوء والتطوّر.

لم تسلم اللّغة العربية من هذا التداخل، فقد انفتحت على لغات داخلية متعددة إذ "نقلت العربية من قبائل العرب مثل قيس وتميم وأسد وهديل، وبعض كنانة، وبعض الطّائيين، ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم"[3]، فوقعت اللّغة العربية الفصحى، في صراع مع لغاتها/لهجاتها المحلية الإقليمية، وهو نوع من الصّراع يتم فيها البقاء للأقوى؛ أي للغة قريش باعتبارها مركزا للنّفوذ الدّيني والاقتصادي والتجاري منذ الجاهلية، ورغم انتصارها إلاّ أنّها لن تخرج سليمة من صراعها. حيث أن " انتماء اللّغتين المتصارعتين إلى شعبة لغويّة واحدة على الأقل أو شعبتين متقاربتين، وفي إحدى اللّغتين الثقافيّة والأدبيّة يسهل عملية التغلب، ...ويمكننا أن نطبّق هذه القوانين اللّغوية على لغة قريش التي

انتصرت على جميع اللّهجات العربية، وعلى كثير من الساميات، والتي لم تسلم من آثار الصراع الدّاخلي "[4]، لتصبح لغة قريش هي اللّغة المشتركة بين العرب.

2.2-التداخل اللّساني الخارجي: اللّغة كائن اجتماعيّ يخضع لعلاقات التأثير والتأثر، فلا توجد لغة خالصة لم تسلم من التأثرات. وقد "شاع بين النّاس أن العرب في جاهليتها كانت أمة منعزلة عن العالم، لا تتصل بغيرها أي اتصال، وأنّ الصحراء من جانب، والبحر من جانب، حصراها وجعلاها منقطعة عمن حولها، لا تتصل بهم في مادة، ولا تقتبس منهم أدبا ولا تهذيبا، والحق أن هذه فكرة خاطئة، وأن العرب كانوا على اتصال بمن حولهم ماديا وأدبيا، وإن كان هذا الاتصال أضعف مما كان بين الأمم المتحضرة لذلك العهد، نظرا لموقعها الجغرافي ولحالتها الاجتماعية"[5]

3-أسباب التداخل اللّساني بين العرب والأعاجم:

تعددت وسائط انفتاح العرب على الآخر الأعجمي في العصر القديم، واتخذت "التأثيرات عدّة أشكال في ظهورها، فهي مباشرة وتاريخية في فترة النهضات، وضمنية فترة ازدهار الآداب"[6]، وتعود أسباب علاقات التأثير والتأثر بين الأدب العربي القديم واللّسان الأجنبي إلى جملة من العوامل أهمها:

-التّجارة: حيث كان للعرب طريقان عظيمان للتجارة بين الشام والمحيط الهندي، الأول من حضرموت إلى البحرين على الخليج الفارسي، والثاني من حضرموت محاذيا البحر الأحمر متجنبا الصحراء وعلى هذا الطريق تقع مكة، وكانت التجارة مصدر رزق لهم وسببا للانفتاح على الممالك المجاورة.

-الرّحلة والبعثات اليهودية والنصرانية التي كانت تتغلغل في جزيرة العرب تدعو إلى دينها وتنشر تعاليمها. "فمن الصعب إنكار العلاقات الوثيقة بين المسلمين والمسيحيين، إذ لم تتمثل هذه الصلات في الاحتكاكات والأحداث الحربية فحسب، بل تعدتها إلى المعاملات الديبلوماسية والمصاهرات الأسرية والانتقالات الثقافية"[7]

-الحروب وانشاء المدن العربية المتاخمة لفارس والروم.

-الفتوحات الإسلامية، وحركة الترجمة التي شهدها العصر العباسي.

كلّها منافذ سهّلت تداخل اللّغة العربية مع اللّسان الأعجمي منذ العصر الجاهل،ي رغم حرص العرب وحذرهم من الاختلاط.

4-المؤثرات اللسانية الأجنبية في الأدب العربي القديم

عرف الأدب العربي علاقات تأثيروتأثر منذ العصر القديم، بحكم موقعه الجغرافي وصلته التاريخية بالشعوب المجاورة له. ففي العصر الجاهلي كان العرب يعيشون بمحاذاة حضارتين عظيمتين في التاريخ هما حضارتي الفرس والروم. وهكذا لم يستطع العرب الإفلات من المؤثرات رغم تحفظهم، ورغم هذا بقوا محافظين على لغتهم وعاداتهم وأعرافهم والكثير من صفاتهم، التي لم يغيروها إلا بشق الأنفس، وذلك بعد أن حدث أكبر انقلاب ديني وحضاري في المجتمع العربي بمجيء الإسلام.

1.4-المؤثر اللّساني الفارسي:

لم يكن العرب منعزلا عن الآخر قديما، بل كانت العلاقات بين العرب والشعوب المجاورة متبادلة منذ القديم بحكم التجارة والحرب والسلم، مما أدى إلى نقل الحضارات بين العرب وبقية الأمم.

تفاعل العرب مع الرومان من جهة الحجاز، ومع الفرس من جهة الحيرة. ولعل أهم مؤثر أجنبي تأثر به العرب الساميين قديما هو **المؤثر الفارسي** الآري. وهو لون من علاقات الاتصال والتداخل والتسرب وذلك عن طريق عدة منافذ أهمها الحج والتجارة، ولم تقتصر التجارة على تبادل العروض والنقود بل تعدتها إلى أمور معنوية لسانية وأدبية.

-في العصر الجاهلي: لقد كان عرب الحيرة هم الصلة بين العرب والفرس ونظرا لمجاورتهم لهم فقد تحضروا وأصبحوا أرق عقلا وأرفع أدبا عن باقي الأمم حتى كان منهم من يعرف الفارسية مما سهل نقل شيء من حضارتهم وآدابهم إلى العرب.

وقد تراوحت صلات العرب مع الفرس في نوعين:

1-**صلات تشاحن وعداوة**: تجسدت في العهد الأسطوري أطرافها الملك الضحاك كيكاوس وسودابة، وحادثة يوم ذي قار حيث كان "عرب الحيرة يتعهدون بحماية قوافل التجارة الفارسية عند مرورها في العرب نظير جُعل كبير يأخذونه من الفرس، ويروون أن الفرس مرة استكثروا هذا الجعل فأبوا دفعه، فهاجم العرب قافلة فارسية وهزموا حماتها، وكان هذا اليوم أحد أيام العرب المشهورة ويسمى يوم ذي قار، وبه تغنى العرب وعدّوه نصرا للعرب مع الفرس"[8]

2-**صلات تعاون ومودة**: كالعلاقة بين اليمن وعرب الجنوب وإيران وقد أحكم هذه العلاقة انتشار المسيحية في تلك البقاع.[9]

ومن أبرز الصلات الفكرية بين العرب والفرس صلة النعمان بن المنذر وكسرى وكان لهذه الصلات أثرا كبيرا في الشعر العربي الجاهلي. إذ ظهرت العديد من الألفاظ الفارسية في الأدب العربي الجاهلي بدوا وحضرا مثل " ورد عند ذؤيب الهذلي أربعة عشر كلمة فارسية، وعند الأعشى ثمانون، وعند امرئ القيس تسع كلمات، وأوس بن حجر أربعة عشر كلمة فارسية"[10] يقول الأعشى:

فما أنت إن دامت عليك بخالد كما لم يخلد قبل ساسان ومورق

وكسرى شهنشاه الذي سار ملكه له ما اشتهى راح عتيق وزنبق[11]

وشهنشاه كلمة فارسية معناها ملك الملوك، مورق معناها ملك الروم، ساسان ملك فارس.

ذكر الشاعر أسماء بعض ملوكهم وألقاب بعضهم شهنشاه، ثم يصف لنا طبيعة عيشهم حيث الخمر والزئبق. ويقول:

قد علمت فارس وحمير وال أعراب بالدشت أيهم نزلا[12]

الدشت كلمة فارسية معناها الصحراء.

ويقول عنترة العبسي في أسره عند الفرس بعد حرب نشبت بين العرب والعجم:

ولقد لقيت الفرس يا ابنة مالك وجيوشها قد ضاق عنها البيد[13]

ويقول علقمة بن عبدة واصفا السيف الفارسي البتار:

وقد أقطع الخرق المخوف به الردى بعنبس كجفن الفارسي المسرّد[14]

وقد وردت في أشعاره كلمات فارسية أخرى مثل: كلستان، بنفشته، سوسن، شاه، الجرة، الخوان، الابريق، الكوز، السندس، نركس، الكعك..وهو ما يؤكد التبادل والاقتراض اللّغوي بين اللّغتين.

كما وردت ألفاظ فارسية عند عدي بن زيد، يقول:

ثم صاروا إلى الصبوح فقام ت قينة في يمينها ابريق[15]

يقول أوس بن حجر:

تضمنها وهم ركوب كأنه إذا ضم جنبيه المحارم رزدق

الرُزدق –رستق- السطر الممدود، والصف من الناس

كما عد تدوين تواريخ إيران ميراثا ثمينا للمسلمين، ترجموه إلى العربية وكان منهلا لكتاب ابن عبيدة معمر بن المثنى. وكان هذا التأثير واضحا في أعمال جذيمة الأبرش، وأساطير زنوبيا، والخورنق، والسدير. وأخبار سينيمار والأمثال التي ضربت فيه وشغلت جزءا من الأدب العربي.

يقول الجاحظ في البيان: "ألا ترى أن أهل المدينة لمّا نزل فيهم ناس من فرسٍ في قديم الدّهر علقوا بألفاظ من ألفاظهم، ولذلك يسمون البطيخ الخِرْبِزَ، ويسمون السّميط الرّودق"

ومن الأمثلة التوت، هو فارسي معرب وأصله التوث فأعربته العرب وجعلت الثاء تاء، وألحقته ببعض أبنيتها. يقول محبوب بن أبي العشنّط النهشلي:

أحلى وأشهى لعيني إن مررت به من كرْخ بغداد دي الرمان والتوث

ومن ذلك الزندبيل أي أنثى الفيل وهي فارسية معربة أصله دنده بيل، و السلحفاة فارسية معربة أصلها سولاخ باي، ذلك أن لرجلها من جسدها ثقبة تدخل فيه.

"كانت العرب في جاهليتها غلبة شؤون الحياة البدوية، وما يتصل بها، فلما فتحوا فارس، وكثيرا من بلاد الروم رأوا من أدوات الزينة والترف ما لم يكونوا قد رأوا من الحرف الدّقيقة والفنون الجميلة ما لم يعهدوه، كما رأوا من تنظيم الحكومة وتدوين الدواوين ما لم يخطر لهم على بال، فاضطروا أن يقتبسوا من الأمم المفتوحة ألفاظا يدخلونها في لغتهم، وكانت الفارسية أقرب منبع يستمدون منه ما يحتاجون إليه فأخذوا منهم الكوز والجرة والابريق والطست والخوان والطبق والقصعة والخز والديباج والسندس والياقوت والفيروز والبلور والكعك والفالوذج واللوزينج والفلفل والزنجبيل والقرفة والنرجس والنسرين والسوسن والعنبر والكافور والصندل والقرنفل والبستان والأرجوان والقرمز والسراويل والاستبرق والتنور والجوز واللوز والدولاب والباشق والميزان والزئبق والجاموس والطيلسان والمغنطيس والصك وصنجة الميزان.....ونظرة عامة إلى هذه الأسماء تريك أن العرب اضطروا إلى أخذ كلمات فارسية في كل مرفق من مرافق الحياة"[16]

ب- في صدر الإسلام: تعمقت الصلات بين العرب والفرس بعد ظهور الإسلام، اذ انتشر العرب في بلاد فارس وانتقل الفرس إلى بلاد العرب لغير ما سبب، وظهر أصحاب اللسانيين ونزعات سياسية وعرقية ظاهرة وخفية. وانتشر الإسلام سريعا بين العرب والفرس فتوطدت العلاقات بينهما بسبب اعتناق الفارسيين للإسلام "[17]وقد وردت ألفاظ فارسية معربة في القرآن الكريم مثل وجود الملائكة، الشياطين، البعث، الجنّة، النار، سندس، استبرق، مرجان، سجيل، سرادق.."

إضافة إلى التأليف في علوم العربية الإسلامية كافة من تفسير وحديث وفقه ونحو وصرف وشعر ونثر، ناهيك عن ترجمة بعضهم من كنوز لغتهم إلى اللغة العربية، فنقلوا الحكمة والتاريخ والقصص والمواعظ والآداب والسياسة ما كان له أثر في التراث العربي، وفي الموضوعات والأساليب والقوالب شعرا ونثرا. ومثال ذلك ما ورد من معاني في ديوان أبي

هلال العسكري ويتيمة الدهر للثعالبي. هذا التفاعل التاريخي أدّى إلى تسرب مئات الألفاظ الفارسية في اللسان العربي.

ج- في العصر الأموي: أدى التمازج بين الأمة الفاتحة والمفتوحة سواء في الدم أو النظم الاجتماعية والآراء العقلية والعقائد الدينية أكله في العصر الأموي، إذ اضطر من دخل الإسلام إلى تعلم اللغة العربية وسرعان ما ظهر من نسلهم شعراء من أشهرهم زياد الأعجم وأسرة بن يسار، وقد صاغ هؤلاء أدبهم في قالب عربي لكن بمعاني وأخيلة فارسية، ومن ذلك " إدخال نزعات جديدة كالمانوية وحماية الحيوان عند زياد الأعجم[18]. وقد تأثر بهم الشعراء العرب من أمثال الطرماح، الكميت، جرير الفرزدق وفي خرسان ثابت بن فطنة، ابن مفزع الحميري، والمغيرة بن خباء.

وقد تأثر **العرب بالفرس** على مستوى المضامين من حيث:

- ادخال معاني جديدة في القصص الشعري، مع المحافظة على الشكل العربي القديم

- اللغة: وذلك بإثراء المعجم اللغوي بكلمات جديدة، كما أخذوا تراكيب للجمل جديدة المعاني وكذا خيالا جديدا.

-تأثرت الأخلاق الإسلامية بنوع من الحكم والجمل القصيرة، حيث نجد كلمات الحسن البصري الفارسي في كتاب عيون الأخبار لابن قتيبة وسراج الملوك لطرطوش والتاج والعقد الفريد. وهذا معناه اقتراب الذوق الفارسي من الذوق العربي.

-أخذ العرب من الفرس الغناء والثير من النغمات، وقعوا عليها الشعر العربي، ويعد سعيد بن مشجع أول من نقل غناء الفرس إلى العرب.

-في أواخر عهد بن أمية نقل اسحاق بن طليق الكتابة إلى العربية وواصل هذا النمط عبد الحميد الكاتب وهو "أول من أطال الرسائل واستعمل التحميدات في فصول الكتب فاستعمل الناس ذلك بعده وقلدوه فيه"[19].

وعليه فقد صبغ الأدب الفارسي الأدب العربي بصبغة جديدة فأثر وتأثر وحدث تفاعل بينهما.

د- في العصر العباسي: تأثر العرب في هذا العصر بالحياة الاجتماعية للفرس ونظمهم السياسية وإدارة الدولة، حيث أراد الفرس السيطرة على العرب من خلال العربية انطلاقا من "كون الإيرانيين هم الشعب الوحيد من بين الشعوب الإسلامية التي اتخذت العربية لغة وانقدت ثقافة الإسلام"[20]، ومن هؤلاء بشار بن برد، مهيار الديلمي، أبو عبيدة الفارسي، الهيثم بن عدي، ابن المقفع... وأدى هذا الاختلاط إلى ظهور الزندقة سواء الفكرية كما عند ابن المقفع، وصالح عبد القدوس، أو اجتماعية كما عند جماعة الماجنين "والبة بن حباب الأسدي"، و"ابن أبي العوجاء"، "حماد الراوية". وعليه كانت الزندقة صراع بين العرب والفرس، وقد أثر هذا التمازج على اللغة، وعلى **شكل القصيدة** العربية فشاع استعمال الرجز في المديح والاستعطاف والنسيب ووصف الخمرة، مع استعمال لغة سهلة والميل إلى الاطناب.

-**المعجم الشعري:** أصبح المجتمع العباسي يعيش حياة تمدن برز فيها التأثير الأعجمي من خلال الألفاظ الفارسية، يقول أبو نواس في قصيدة يا غاسل الطهرجار:

المهرجان المدار**** لوقته الكرار**

والنوكروز الكبار****وجشن جاه نبار**

وأسيال الوهار******وخرة ايران شار**[21]

معناه: الطهرجار لفظة فارسية معناها مربع الحواشي وهو قدح للشراب، المهرجان هو عيد الفرس، جاه نبار أي الدعوة العامة إلى الوليمة، أسيال ابتداء الربيع الوهار المشرق المضيء، خرة موضوع الشراب، ايران شار أي إيران العزيز.ويقول:

كنت من الحب في ذرى نيق أرود منه مراد مموق

حتى نفاني عنه تخلُق واش كـدية لفهـا بتـزييف

كقول كسرى فيما بمثله من فرص اللص ضجة السوق

وعبارة "من فرص اللص ضجة السوق" مثل فارسي استعمله العرب قديما في يومياتهم.

ويعد مسعود سعد سلمان أول من محا المبالغة من المدح. وفي القرن السابع هري ارتقى سعد الشيرازي بشعر الغزل إلى مراتب الشعر الصوفي.

كما جدّدوا في الموسيقى والأوزان، حيث أدخلوا للشعر العربي **أوزان فارسية** مثل المثنوى. كما اقتبس منهم العرب ما يسمى بالبند، الجديد، المشاكل والقريب.[22] ولعل بشار بن برد هو أول من نم المزدوج ثم تبعه ابان بن عبد الحميد فنظم كليلة ودمنة."[23]

كما ظهر التجديد في المقدمات الطلليّة حيث صارت مقدمات غزلية وخمرية ومقدمات الشيب والطيف والحكمة. ونجد لرسالة التوابع والزوابع جذور في الأدب الفارسي القديم، ولجنس المقامة العربية علاقة بالأدب الفارسي.

لكن رغم ما طرأ على المجتمع العباسي من تجديد، إلا أنّ **المضامين** ظلّت تسير في النّهج الذي رسمه القدماء، إلا في المدح والرّثاء. وأبرز تأثر بالأدب الفارسي يتجلى في ترجمة عيون كتبهم مثل كليلة ودمنة وألف ليلة وليلة. ثم كتب الغزالي في قصيدة الملوك بالفارسية، وظهر شعراء يتقنون العربية والفارسية مثل قابوس بن شكمير الزيادي.

وخلاصة القول هي أنّه لم تعد العلاقة بين العرب والفرس علاقة تأثر وتأثير، وغالب بمغلوب كما كانت عليه في الأدب الجاهلي. ولا هي علاقة ظاهرية تتسم بالاتباع والتقليد في الأدب أو في اللّغة والفن، وإنما غذت العلاقة بينهما حركة ثقافية ودينية وعلمية.

2.4- المؤثّر اللّساني الهندي

اتصل العرب بالهند عن طريق التجارة منذ الجاهلية، ثم تطورت هذه العلاقة على مرّ العصور وتعمقت الصلات بينهما، يقول زبير أحمد الفاروقي: "كانت الهند ترتبط بالعالم العربي بروابط التّجارة قبل ارتباطها بصلة الدين والسياسة والثقافة، حتى أنّها لم تكن غريبة لدى العرب في عصور ما قبل التاريخ، ويدعي العرب أن علاقاتهم مع الهند يرجع إلى بضعة آلاف سنة فقط، بل إنها وطن آبائهم الأولين منذ فجر التاريخ، منذ هبوط آدم ونزول الوحي عليه فيها، فإن أرض الهند هي التي تشرفت بالظهور المبدئي لمحمد ص، ولهذا قال

النبي: إني أجد رائحة ربانية في الهند"[24]، وهذا يدل على قدم العلاقات بين الشعبين، ويمكن أن نجمل تأثر اللغة العربية باللغات الهندية في ثلاث أنواع من التأثيرات هي:

1-**الكلمات السنسكريتية والهندية:** عرف العرب منذ القديم كلمات هندية دخلت العربية بسبب التجارة، فعرفوا السيوف الهندية "المهند، الهنداوي"، يقول طرفة بن العبد:

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة على المرء من وقع الحسام المهند[25]

شبه الشاعر ظلم أهله وأقاربه أنه أحدّ من سيوف الهند البتارة.

ويقول زهير بن أبي سلمى:

بفتية كسيوف الهند يبعث همّ فكلهم ذو حاجة يعد[26]

شبه زهير الفتية في قوتهم وبسالتهم بسيوف الهند الحادة القاطعة.

أما عنترة فيقول مخاطبا حبيبته:

ولقد ذكرتك والرماح نواهل مني وبيض الهند تقطر من دمي[27]

فتذكّر الشاعر لحبيبته في خضم الحرب، وضرب السيوف الهندية القاطعة المخضبة بدمائه، دليل على حبه الشديد لها.

وتكرّر ذكر سيوف الهند عند شعراء العرب كطرفة وزهير وعنترة ولبيد وحسان بن ثابت... مرتبطة بالحرب وساحة الوغى، مقترنة بالشجاعة والقوة.

كما سمّى العرب كثيرا من نسائهم باسم هند "استعملت العرب هذه الكلمة في صيغ مختلفة ومعاني شتّى، وكانت تروقهم وتعجبهم إعجابا شديدا حتى سموا نساءهم وعشيقاتهم بهذا الاسم ولها في الشعر العربي منزلة شيرين وليلى في الشعر الفارسي أنشد سيبويه: أخالد قد علقتك بعد هند فشيبني الخوالد والهنود، وقال آخر:

ألا لا أبالي اليوم ما فعلت هند إذا بقيت عندي الحمامة والورد"[28]

وجمْعُ "هند" هندات وهنود وأهند، وأهناد وأهاند، ويقال هنديّ و هندكيّ أما هنادك فاستعملت لرجال الهند.

ومن الكلمات الهندية "نينيلج" وهو لون هندي ورد ذكره في لسان العرب "النيلج يعالج به الوشم ليخضر"[29] قال ابن عربي سوداء لم تخطط به نينيلجا

وكلمة قرمز وأصله كرمج وهو ضرب من اللون ورد في لسان العرب "القرمز لون أحمر"

العود أصله أود ورد في لسان العرب: "العود الخشبة المطراة يدخن بها القسط البحري" قال الرسول ص "عليكم بالقسط الهندي" والعود الرطب هو المندلى، قال عمرو بن طبابة

إذا ما مشت نادى بما في ثيابها دكى الشداء والمندلى المطير[30]

كما وردت لفظة **كافور** معرب كبور، وهو نوع من العطر كانت العرب تستورده من الهند، ورد فكي لسان العرب "الكافور أخلاط تجمع من الطيب"، قال تعالى "إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا" و قال النابغة الذبياني:

كان مدارمة ورضاب مسك وكافورا ذكيا لم يفش[31]

-ونلمس حضورا قويا للفظة زنجبيل في الشعر الجاهلي، وأصله في السنسكريتية زرنجابيرا ورد في لسان العرب "والعرب تصف الزنجبيلا بالطيب وهو مستطاب عندهم جدا. قال تعالى: كان مزاجها زنجبيلا"، قال الأعشى يصف حلاوة لعاب جاريته:

كان القرنفل والزنجبيل باتا بفيها واريا منثورا

ومن الكلمات الفارسية التي وظفت في الشعر العربي القديم نذكر "المسك" معرب موشكا وهو ضرب من الطيب قال جران العود:

لقد عاجلتني بالسباب وثوبها جديد ومن أردانها المسك تنفخ[32]

أما علقمة بن عبده فيقول:

كأن فأرة مسك في مقارضها للباسط المتعاطي وهو مزكوم[33]

ويقول عنترة العبسي:

تبيت فتات المسك تحت لثامها فيزداد من أنفاسها أرج الند[34]

ومن الكلمات الهندية التي دخلت اللّغة العربية: موز، فوطة نارجيل، قسط، غضارة، عنب، رخ، قار، رند، فالج وهو بعير بسنامين...

أصبحت الهند بعد الفتح الإسلامي موطنا من مواطن الثقافة العربية، حيث تأثرت لغاتها بالألفاظ العربية، وتوطدت هذه العلاقة بظهور حركة الترجمة. فمع "ظهور الإسلام بدأت مرحلة جديدة في تاريخ الأواصر الهندية العربية يمكن وصفها بحقبة الحوار الثقافي بين الهند والعالم العربي، خاصة خلال العصر العباسي، حيث أبدى يحي بن خليل البرمكي اهتماما كبيرا بالحضارة الهندية، فترجم ومن معه من المثقفين والعلماء الهنود العديد من المؤلفات السنسكريتية إلى اللّغة العربية... وشكّلت مذكرات الرّحالة العرب الذين قدموا إلى الهند في العصر العباسي، كابن بطوطة في كتابه "عجائب الأسفار"، وتحدث فيه عن جنوب الهند قبل الإسلام"[35]

وكثيرا ما نجد في كتب البلاغة القديمة عندنا مفهوم البلاغة عند الهند. وهو وضوح الدلالة.

وقد شرح الأستاذ حامد عبد القادر في كتابه "فلسفة أبي العلاء" كيف أن أبا العلاء تأثر بالثقافة الهندية وفلسفاتها ومذاهبها.

2-القصص والحكايات

تأثر الأدب العربي بالثقافة الهندية وأدبها بعد حركة الفتح والترجمة، فظهر كتاب كليلة ودمنة وترك أثره واضحا في خلق جنس أدبي جديد في الأدب العربي بعد ترجمته من الفارسية. يقول عبد الحميد الكاتب

هذا كتاب أدب ومحنة وهو الذي يدعى كليلة ودمنة

فيه اختيارات وفيه رشد وهو كتاب وضعه الهند

إضافة إلى كتاب السندباد وبوذاسف وبلوهر وكتاب حدود منطق الهند وشاناق الهند، وديك الهندي.

3- **الحكم والأمثال:** استفاد العرب من الهند الحكمة والأحلام الراجحة والآراء الفاضلة والأمثال السائرة ومن ذلك "عدل السلطان أنفع للرعية من خصب الزمان، شر المال ما لا ينفق منه، شر الإخوان الخاذل وشر السلطان من خانه اليسرى وشر البلاد ليس فيه خصب ولا أمن، ستة أشياء لا ثبات لها ظل الغمام، وخلة الأشرار، وعشق النساء، والمال الكثير والسلطان الجائر، والثناء الكاذب...هذه الأمثال السائرة كلها هندية الأصل ولكن اليوم يضرب بها في اللغة العربية بغير تردد ولا تكلف كأنها من انتاجات العرب[36]

3.4-المؤثر اللّساني التركي

كان المؤثر اللّساني التركي في الأدب العربي القديم ضعيفا جدا في العصر الجاهلي، إلا أنّه ازداد قوة مع ظهور الإسلام، إلاّ أننا نجد بعض الشعراء الجاهليين يذكرون الترك في أشعارهم، مما يؤكّد أنّ هناك تواصل بين الشعبين حتى قبل الإسلام، ومن ذلك قول الأعشى:

ولقد شربت الخمر تركض حولنا ترك وكابل [37]

ويقول النابغة الذبياني يرثي الأمير الغساني نعمان الحارث بن أبي شبر:

قعدوا له غسان يرجون أوبه وترك ورهط الأعجمين وكابل[38]

وهذا يؤكد قدم العلاقات بين العرب والأتراك، والتي توطدت أكثر مع ظهور الإسلام.

4.4-المؤثر اللّساني الروماني

لم يحصل تأثر كبير بين العرب والرومان، ولم تكن علاقات التأثير والتأثر بينهما قوية لبعد المسافة بينهما، إلا أننا نجد أن الروم اعتمد على العرب في كثير من شؤونهم حتى فيما يترفهون به –كالحرير- ويظهر بعض مؤرخي الافرنج أنّه كان في مكة نفسها بيوتا تجارية رومانية يستخدمها الرومان للشؤون التجارية وللتجسس على أحوال العرب"[39]، فقد بقوا

في الشرق منذ القرن الأول قبل الميلاد حتى الفتح الإسلامي، وقد جمعتهم حروب ومعارك وأسرى وعبيد كما تبادلوا الهدايا والعلاقات بين الصداقة والعداوة. وقد وثّق هذا التواصل الأدب القديم ومن ذلك ما ورد في أشعار العديد من الشعراء مثل امرؤ القيس في قوله:

بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه وأيقن أناّ لاحقان بقيصرا

لو شاء كان الغزو من أرض حمير ولكنه عمد إلى الروم أنفرا[40]

سافر امرؤ القيس مع صديقه عمرو بن قمينة إلى الروم، فبكى عمرو من مشقة السفر وعناء الطريق، وسبب الرحلة هي استنجاد امرؤ القيس بقيصر ليعينه على أعدائه، وذلك ليس ضعفا أو ذلا، وإنّما لجأ للروم ليساعدوه على الانتقام والثأر من العدو، وقد حظي باستقبال مميز من طرف ملك الروم، حتى أنه امتطى دابة البريد وجال بها يقول:

ونادمت قيصر في ملكه فأوجهني وركبت البريدا[41]

ويقول علقمة في وصف عجمة الروم:

يوحى إليها بإنقاض ونقنقة كما تراطن في أفدانها الروم[42]

اتصل علقمة بالروم، وسمع حديثهم بلغتهم الرومانية التي يتحدثون بها في قصورهم، ولكن العرب لا يفهمون منها شيئا.

أما طرفة بن العبد فيقول:

كقنطرة الرومي أقسم بها لتكتنفن حتى تساد بقرمد[43]

أعجب الشاعر بقصور الروم وعظمة بنائهم، فشبّه قوائم ناقته القوية بقصورهم الشامخة.

وهذا الانفتاح المباشر وغير المباشر بين العرب والروم هو ما يبرر وجود ألفاظ رومانية تسربت إلى لغتنا العربية، واستحضرها الشعراء في أدبنا القديم.

5.4 -المؤثر اللّساني اليوناني:

شهد العرب تفاعلا ضعيفا مع اليونان وذلك لاختلاف نمط معيشة المجتمعين فمثلا اليونان كانوا يعبدون الآلهة "وهي تخالف كل المخالفة تعاليم دينهم، ونظم سياسية واجتماعية لا عهد لهم بها، وأنواع من اللهو لم يألفونها، والأدب كما علمت إنما هو صورة منعكسة للمعيشة الاجتماعية، فكان لزاما ألا يتذوق العرب الأدب اليوناني ويتأثروا به"[44]

ومع هذا تسربت بعض الألفاظ اليونانية التي وجدناها في الشعر العربي القديم مثل:

القسطاس أي الميزان، السجنجل أي المرآة، البطاقة أي الرقعة، القسطل أي الغبار، والقنطار، البطريق، الترياق، النقرس، القولنج،...

كما نهل العرب من حكم اليونان، وذلك لاقترابها منى ذوقهم الأدبي، فنقلوا حكما نسبت إلى سقراط، وأفلاطون، وأرسطو, كما عند أبي العتاهية والمتنبي، ابن الرومي. أبي العلاء المعري الذي يقول:

أيجلو الشمس للرّائي نهار وقد شرقت ومشرقها مضب

ولم يدفع ردى سقراط لفظ ولا بقراط حامي عنه الطبّ

وهو ما يؤكد تأثر العرب بالحكمة اليونانية وتضمينها في أدبهم القديم.

5. خاتمة:

لم تسلم اللّغة العربية من المؤثرات اللّسانية الأجنبية شرقية وغربية منذ العصر الجاهلي، رغم حرص العرب على حماية لغتهم من اللّحن، واستمر هذا التأثير إلى العصر الحديث، مما أفرز مجموعة من المصطلحات جاءت نتيجةً لهذا التمازج والانفتاح على الآخر وهي: المعرّب، الدّخيل، الأعجمي،.. وقد افردت لها مؤلفات خاصة كالمعرّب للجواليقي، المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب للسيوطي، شفاء الغليل للخفاجي... وكلها مؤلفات جاءت لترسم الحدود بين اللغة الألية والألفاظ الوافدة حتى لا تختلط الألسن

مع مرور الزمن، لتبقى اللغة العربية محافظة على هويتها وأصالتها رغم انفتاحها الحذر مع الأمم الأعجمية.

5. قائمة الإحالات:

[1]-أنظر مصطفى الرافعي: تاريخ آداب العرب، ج1، ص87-90

[2]-سيف الحق بان شيخي: أثر الثقافة الإسلامية على اللغة العربية في الصين، أطروحة دكتوراه، جامعة بشاور، 1994، 1995، ص67

[3]-علي عبد الواحد: فقه اللغة، ط6، دار النهضة، مصر، ص165

[4]-عثمان طيبة: التداخل اللغوي، مظاهره في الشعر الجاهلي، أطروحة دكتوراه، 2005، ص24

[5]-أحمد أمين: فجر الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، ط1، ص21

[6]-طه حسين: حديث الأربعاء، ج2، دار المعارف، مصر، 1968، ط9، ص27

[7]-عبد الإله ميسوم: تأثير الموشحات في التروبادور، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص123

[8]-أحمد أمين: فجر الإسلام، ص23

[9]-أذرتاش أدرنوش، سبل نفوذ الفارسية في ثقافة العرب الجاهلية ولغتهم، تر محمد التونجي، المجمع الثقافي، أبو ظبي، 2004، ص57

[10]-المرجع نفسه: ص78 ومابعدها

[11]-الأعشى: الديوان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط7، 1983، ص17

[12]-المصدر نفسه: ص138

[13]-عنترة العبسي: الديوان، مكتبة الحياة، القاهرة ص71

[14]-علقمة بن عبدة: الديوان، الجزائر، 1967، ص34

[15]-عدي بن زيد: الديوان، دار الجمهورية للنشر، العراق، 1965، ص67

[16]- حمد أمين: فجر الإسلام، ص129

[17]-المرجع نفسه، ص117

[18]-أنظر: حسين مجيب المصري: الصلات بين العرب والفرس والترك، دراسة تاريخية أدبية، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ط1، 2001، ص41

[19]-أحمد أمين: فجر الإسلام، ص119

[20]-سعيد علوش: إشكالية التيارات والتأثيرات الأدبية، ص89

[21]-أبو نواس: الديوان، تحقيق بهجت عبد الغفور الحديثي، ط1، أبوظبي، 2010، ص518

[22]-غالي شكري: شعرنا الحديث، دارح الآفاق الجديدة، بيروت، 1968، ط1، ص25

[23] - أحمد درويش: نظرية الأدب المقارن وتجلياتها في الأدب العربي، دار غريب، القاهرة، 2002، ص43

[24]-زبير أحمد الفاروقي: الترجمة إلى العربية في الهند وأثرها في التواصل الحضاري، مركز عبد الله بن عبد العزيز الدولي، ط1، 2014، ض177

[25]-طرفة بن العبد، الديوان تحقيق الأعلم الشمنتري، دار الكتاب، دمشق، 1975، ص12

[26]-زهير بن ابي سلمى، الديوان، تحقيق كرم البستاني، دار صادر، بيروت، 1960، ص75

[27]-عنترة العبسي، الديوان، ص57

[28]-عبد المجيد الندوي: تأثير الأدب الهندي في الآداب العربية، تعريب محمد أجمل الإصلاحي، ثقافة الهند، يناير، 1970، ص38

[29]-ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، 1970، مادة ن ل ج

[30]-عبد المجيد الندوي: تأثير الأدب الهندي في الآداب العربية، ص31

[31]-المرجع نفسه، ص32

[32]- المرجع نفسه: ص32

[33]-علقمة بن عبده، الديوان، ص13

[34]-عنترة العبسي، الديوان، ص72

[35]- زبير أحمد الفاروقي: الترجمة إلى العربية في الهند وأثرها في التواصل الحضاري ص179

[36]عبد المجيد الندوي: تأثير الأدب الهندي في الآداب العربية، ص38

[37]-ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج4، ص426

[38]-النابغة الذبياني : الديوان، شرح عباس عبد الستار، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996، ص122

[39]-أحمد أمين: فجر الإسلام، ص22

[40]-امرؤ القيس: الديوان، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، 1958، ص95

[41]-المصدر نفسه: ص88

[42]-علقمة بن عبده: الديوان، ص13

[43]-طرفة بن العبد: الديوان، ص17

[44]-أحمد أمين: فجر الإسلام، ص153